

أهمية علم السنن الإلهية ..سقوط الأندلس نموذجا | خطبة 22-4- | 8341هـ | أ.د. عمر المقبل |

عمر المقبل

يجوز للإنسان ان يتعجل في اليوم وهذا الحديث الذي ذكره المصنف رحمه ومنها ايضا خاتمة واوصيكم ونفسي ايها المسلمون بتقوى الله عز وجل. ايها الاحبة ان من القضايا المحكمة عند كل العقلاء ان سنن الله تعالى في الامم والمجتمعات لا تتغير ولا تتبدل. وانها لا تحابي - 00:00:00

احدا لا مسلما ولا كافرا. فما ذلت امة بعد عز ولا تفرقت بعد اجتماع. ولا بعد ان سادت الا بعد تمرداها على تلك السنن ومخالفة امر الله فيها. وما غير الله تعالى على - 00:00:34

امة من الامم ما كانت فيه من عز وغلبة وامن وتمكين وارغد عيش وراحة الا بعد ما غيرت تلك الامة نعمة الله فاستبدلت شكر النعم بكفرها واعتزازها بالطاعة الى الاعلان بالمنكر والعدل بالظلم - 00:00:54

والقوة في الاخذ على ايدي السفهاء الى تركهم يتناولون على الاكابر والعلماء. وتعامت عن سنن الله تعالى الاف المسرفين فحق عليها قول الله وما ربك بظلام للعبيد؟ وكم اهلكنا من قرية - 00:01:14

معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا. وكنا نحن الوارثين. ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون. ولكل درجات مما عملوا وما ربك لغافل عما يعملون. ايها المسلمون واذا تحدثنا عن سنن الله تعالى في الامم والمجتمعات فان من اعظم الوسائل - 00:01:34

التي يتعرف فيها الانسان على السنن وسيلتان. الوحي بنوعيه. القرآن والسنة والتاريخ حينما يقرأ قراءة واعية. ففي قراءته عبرة لاولي الالباب. وحكمة يؤوب اليها اهل العقل والرشاد فالتاريخ كتاب مفتوح مليء بالتجارب التي تتكرر امثالها في الامم وان تغير

الاشخاص او - 00:02:04

اختلفت الدول والعاقل فظلا عن المؤمن حين يدرس علم السنن حين يدرس علم السنن او يقرأ لمن كتبوا فيه لا يقرأه لمجرد التسلية. بل لاخذ العبرة فان جميع العقلاء بمختلف مللهم ونحلهم - 00:02:34

على انه من السفه ان ترى غيرك يفشل في طريق ثم تسير خلفه وثقت في اثره. اذا علم هذا يا عبادي عباد الله فان تاريخ امتنا الطويل فيه عبر وعظات يجب ان نستفيد منها. ومن تلكم الحقب - 00:02:54

التي مرت تلك الحقة التي سبقت سقوط بلاد الاندلس. التي تمثل اليوم اسبانيا والبرتغال. تلك فالبلاد العظيمة التي استنارت بنور الاسلام مئات السنين وصدرت للعالم الوانا من العلوم والافا من العلماء - 00:03:14

حتى سقطت ورجعت بكل اسف الى النصرى. فيا ترى ما سبب؟ بل ما الاسباب التي ادت بهذا الكيان الضخم للسقوط بعد ان كان منارة اشعاع وهدى لاوروبا كلها بل للعالم اجمع. وهل كان سقوطها - 00:03:34

في يوم وليلة ان مقاما كهذا لا يفي بالحديث عن جميع الاسباب التي ادت الى سقوط ذلك الجزء من بلاد الاسلام لكن حسبنا ها هنا ان نشير الى اهم وابرز الاسباب التي يجب علينا جميعا ان - 00:03:54

ان نستفيد منها وان نعيها في حاضرنا ومستقبلنا. ذلكم السبب هو ظعف الجانب الخلقى. واثره وفي سقوط تلك البلاد. ايها الاخوة حين دخل المسلمون فاتحين بلاد الاندلس كانوا قد تمثلوا الاسلام حقا - 00:04:14

فتأدبوا بآدابه. وتمثلوا اخلاقه وقيمه. واقعا ملموسا. ادركها جميع اهل تلك الديار من سارة فاعجبوا بها حتى قال احد قادة النصارى يومها لقد نزل بارضنا قوم لا ندري اهبطوا السماء ام نبعوا من الارض فبقي المسلمون خلال القرون الثلاثة الاولى من وجودهم هناك. محافظين على تلك القيم - [00:04:34](#)

معتزين بها لكن مع مضي الزمن بدأ بعضهم يتحلل منها مما افقدهم شيئا من مقومات اصالتهم ووجودهم هناك. وقد عبر عن هذه الحقيقة احد كتاب النصارى حين قال العرب هو - [00:05:04](#)
هو عندما نسوا فضائلهم التي جاءوا بها. واصبحوا على قلب متقلب. يميل الى الخفة والمرح والاسترسال في الشهوات انتهى كلامه ومنذ ان بدأ الضعف في الجانب الخلفي عند بعض مسلمي الاندلس عندما - [00:05:24](#)
بدأ بالظهور كعرض من اعراض المرض وهو بعدهم عن منهج الله بدأ الوجود الاسلامي هناك يضعف وذلك لسنة من السنن وهي ان كل تقدم حضاري وسياسي وسمو فكري واية عز في - [00:05:44](#)

كان مرده الى التمسك بالاسلام ومرتها بمقدار الالتزام باظهار شريعته وتطبيقها. ايها الاخوة ان عوامل سقوط تلك البلاد بدأت في وقت مبكر في تلك الديار. وتحديدًا منذ سقطت الدولة الاموية وقام على - [00:06:04](#)
انقاضها العديد من الدويلات الاسلامية المتناحرة المتنازعة التي عرفت فيما بعد بعهد ملوك الطوائف ومما لا اشك فيه ان هذا الضعف التدريجي الذي ادى في النهاية الى خروج المسلمين من تلك البلاد لم ينشأ من فراغ - [00:06:24](#)
لم يقع في يوم وليلة بل كان نتيجة عوامل عدة واسباب متراكمة نشأت في ظروف مختلفة نمت وترعرعت حتى تمخض عنها ضعفهم وخروجهم من الاندلس. ومن اعظم وابرز الاسباب الحاكمة الجامعة - [00:06:44](#)

انحراف كثير من المسلمين في تلك البلد عن منهج الله عز وجل. ومن ابرز مظاهر هذا الانحراف عن منهج الله هو الضعف في تمثل الاخلاق والذي ظهر باكثر من مظهر وباكثر من صورة ولعل من اهمها وابرزها - [00:07:04](#)
اولها التشبه بالعدو وتقليده. والثانية انتشار المجون والخلاعة بين المسلمين. اما المظهر الاول وهو التشبه بالعدو وتقليده. فيتضح ذلك جليا حينما نعرف ان المسلمين لما دخلوا بلاد اندلس كانت لهم شخصيتهم الاسلامية اسمعوا يا شباب كانت لهم شخصيتهم الاسلامية وهويتهم المستقلة - [00:07:24](#)

التي يعتزون بها وظلوا على هذا ثلاثة قرون يحافظون عليها ولكن حينما اعتري وجودهم الضعف وعصفت بهم وخف الوازع الديني عند بعضهم بدأوا بالتخلي عن بعض تلك الاخلاق. وتأثروا باخلاق - [00:07:54](#)
عادات غريبة عليهم وعلى مجتمعهم. الامر الذي جعل شخصيتهم الاسلامية تأخذ بالاضمحلال ويسري فيها الضعف يقول ويعلق امام علم الاجتماع ابن خلدون على هذا المعنى فيقول ان المغلوب بالاقْتداء بالغالب في شعاره وزيه. وتخلقه وسائر احواله وعوانده. والسبب في ذلك ان النفس - [00:08:14](#)

ابدا تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت اليه. حتى اذا كانت امة تجاور اخرى ولها الغلب عليها يسري اليهم من هذا التشبه والاقْتداء حظ كبير. كما هو في الاندلس لهذا العهد. مع امم الجلالة. فان - [00:08:44](#)
تجددهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشارتهم والكثير من عوائدهم واحوالهم. حتى واسمعوا هذا التعليق العجيب حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة الناظر بعين الحكمة انه من علامات الاستيلاء والامر لله. انتهى كلامه رحمه الله. وقد ذكر احد المؤرخين مبينا احد مظاهر - [00:09:04](#)

الضعف ان بعض مسلمي الاندلس قلد النصارى في الاحتفال باعيادهم ومناسباتهم الدينية سبحان الله ما اشبه الليلة بالبارحة. ومما لا شك فيه ان هذا الانهزام الذي مني به المسلمون في ذلك الوقت - [00:09:34](#)
حينما تأثروا بالنصارى وقلدوهم قد تمخض عنه كسر الحاجز النفسي الذي كان موجودا عند المسلمين ازاء النصراني. الامر الذي جعل مخالطتهم او التآسي بهم امرا مألوفا مألوفا عند بعض المسلمين هناك. ولهذا خرجوا الى ميادين الجهاد وهم غير ابهين. بالعدو ولا مستعدين لحربه. وهكذا - [00:09:54](#)

يا ايها المسلمون زالت مهابة المسلمين عند اعدائهم حين تخلوا عن اصلتهم وقيمهم الاسلامية. حيث اصبحوا حقيرين في عين عدوهم. واقل من ان يهتم بهم وللحديث صلة. نفعني الله واياكم بهدي كتابه وبسنة - [00:10:24](#)

انبيائه اقول ما تسمعون واستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب فاستغفروه انه وهو الغفور الرحيم. الحمد لله صلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله ومصطفاه. اما بعد فان من اهم مظاهر - [00:10:44](#)

ضعف الخلق الذي كان عاملا من عوامل سقوط الاندلس وهو العامل الثاني او الصورة الثانية من صور الانحراف انتشار المجون والانتشار المجون والخلاعة والاستعلان بمظاهر الفسق. ولقد كثر هذا في عصر ملوك الطوائف - [00:11:04](#)

فانتشر فيهم المجون والطرب وشرب الخمر والاستغراق في ملذات الجسد والاكثار من الجواني والنساء على صورة اما شرب الخمر في قرطبة وغيرها من بلدان ملوك الطوائف فقد اصبح امرا لا غرابة فيه في ذلك العصر - [00:11:24](#)

كما يقول المؤرخون ولم يكن هذا الامر قاصرا على فئة معينة من الناس بل كان كثير منهم يقضي بل كان كثير منهم يقضون ليايهم ايقاظا يجتمعون على الكؤوس حتى الصباح. اما الغناء والطرب - [00:11:44](#)

فقد كان له نصيبه الوافر عند اولئك القوم. فكيف ينتشر الخمر ولا ينتشر الغناء والطرب؟ بل لقد كان يتفاخرون بكثرة التها وبكثرة مجيديها والمغنيين. حيث يقولون عند فلان عود او عودان - [00:12:04](#)

او ثلاثة او اربعة او اكثر من ذلك. بل صار العامة لا يقل ولع احدهم بالغناء عن الكبراء. وقد بدأت تلك الاوجاع والامراض التي حلت بالمسلمين في الاندلس في تلك الفترة تظهر عيانا تظهر عيانا بعد ان - [00:12:24](#)

كانت مستترة او شبه مستترة. فلقد استخف بعض الناس بالدين وتجردوا من الاخلاق والقيم الاسلامية. ولم يعد هناك كوازع من دين او ضمير. يمنع من الاستعلان بالمنكر. فهان القبيح كما يقول ابن حزم رحمه الله. هان القبيح - [00:12:44](#)

ورق الدين حتى رضي الانسان بالفضائح والقبايح مقابل وصوله الى مراده وشهوته. وهكذا غرق اولئك كالقوم في مستنقع الفحش والرذيلة وفي عالم الترف والبطر. هذه يا عباد الله نماذج عاجلة ومختصرة - [00:13:04](#)

هذه يا عباد الله نماذج سريعة ومختصرة لاهم مظاهر الضعف في الجانب الخلقي. الذي حل بالمسلمين في بلاد الاندلس والتي انعكست اثارها على قوتهم فاضعفتهم. فشعر المسلمون حينها ان زمام الموقف - [00:13:24](#)

بيد العدو النصراني المتربص. ولم يكن هذا الشعور قاصرا على المسلمين انفسهم. بل تعداهم الى عدوهم النصراني الذي ادرك ان حصون المسلمين الداخلية قد ضعفت وان الفرصة اصبحت مهيئة له - [00:13:44](#)

لدخول الثغور والحصون الخارجية. حتى قال ملك جليقية للمسلمين حين حوصروا في مدينة طليطلة طلب الصلح لعجزهم عن المقاومة قال لهم بلغة القوي ما اجيبكم الى سلم ولا اغفيكم من حرب فانما - [00:14:04](#)

نطلب بلادنا التي غلبتمونا عليها قديما في اول امركم. فقد سكنتموها ما قضي لكم وقد نصرنا عليكم والان برداءكم فارحلوا ارحلوا الى عدوتكم يعني بلاد المغرب واتركوا لنا بلادنا فلا خير في سكتناكم معنا - [00:14:24](#)

ما بعد اليوم وهكذا يكشر النصراني عن انيابهم العدائية. فابانوا خططهم ونواياهم ضد الاسلام المسلمين هناك كما بدأوا بعملياتهم الحربية والتي اسموها بحرب الاسترداد. حيث تمكنوا خلالها من اجتياح والثغور ولا حول ولا قوة الا بالله. عباد الله ان النصراني الذين حاربوا اخواننا في الاندلس بالامس - [00:14:44](#)

واخرجوهم من ديارهم هم النصراني اليوم الذين يشنون الحرب على المسلمين في بعض بلاد الاسلام مباشرة او في الوكالة فهل نعي الدرس جيدا؟ هل نعي الدرس جيدا ايها الاخوة؟ هل نعي الدرس جيدا يا امة الاسلام؟ هل نعي الدرس جيدا يا - [00:15:14](#)

شبابنا يا من فتنوا بالتشبه بالكفار في البستهم وفي شعورهم وفي مظاهرهم وفي مقتنياتهم هل تعون الدرس جيدا؟ فوالله ان الامر جد ليس بالهزل. وهل تعي امة الاسلام من درس الاندلس ان - [00:15:34](#)

ان سنن الله لا تحابي احدا. اللهم ارزقنا الاعتبار والاذكار. اللهم ارزقنا الاعتبار والادكار. اللهم ارزقنا الاعتبار - [00:15:54](#)